الجامعة

الجزء الرابع السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — اول ايلول (سبتنبر) سنة ١٩٠٦ ١٣ رجب سنة ١٣٢٤

فلسفة جمال الدين الافغاني

هل للافغاني فلسفة

قد يستغرب القارىء قولنا ان لجمال الدين الافغاني فلسفة . لان العلماء لا يسمون الرجل فيلسوفاً الا اذا كان صاحب مذهب خاص مبني على العلم الطبيعي انفرد به واخرجه للناس وصدقه خاصتهم . ولكن العالم النمساوي تيودور غومبز الذي وضع في هذا العام كتاباً في (فلاسفة اليونان) قال انه يسمي فيلسوفاً كل رجل مفكر في الحياة وشؤونها وكان لفكرته قوّة . ولذلك عدّ في جملة فلاسفة اليونان كثيرين من مفكريهم الذين يعدّون في الدرجة الثانية والثالثة بعد اساطين الدرجة الاولى . والافغاني رحمه الله لم يكن ذا مذهب فلسفي جديد يؤخذ منه ويؤثر عنه وانما كان طالب اصلاح ديني . ولكن القوة التي ابرزها من نفسه في مطالبته بهذا الاصلاح . والطريق الذي سلكه اليه . وتأثيره على الذين خلفوه وقرأوا عليه . وامتداد امواج الحركة الفكرية التي دفعها في حياته الى هذا الوقت بعد مماته بقوة تلامذته وعميدهم الشيخ محمد عبده — كل هذه امور تجعل له في تاريخ المشرق الادبي (مكاناً سنياً . ووساداً مثنياً) كما يقول الهمزاني . وتحدو بالمفكر تفكيراً سطحياً ان يعدّه كما يقول كثيرون مصدر الحركة الاصلاحية الاسلامية الحديثة

خصلة لبني المشرق

ولبني المشرق خصلة مستقبحة وهي ما يسميه الافرنج (داء الاشخاص) نعني انهم يقدسون كل شخص يرتفع بجاهه او علمه او رئاسته ويحنون الهام لدى كل شيء يصدر عنه دون ان يفكروا بتمحيصه وتحقيقه. واذا خطر لاحد منهم ان يجرأ على هذا الأمر الصعب ويركب هذا المركب الخشن عدوا عمله اعتداء وتهجماً . ولا غرابة في هذا الاعتقاد لانه شيمة قوم نشأوا في الذل والصغار وعبادة الامراء والرؤساء ونتيجة (التصورات الشرقية) المشهورة عند الافرنج بكونها تكبر الصغيرة وتصغر الكبيرة. او ان شئت فقل انها نتيجة ندرة (الرجال) عندهم فاذا قام بينهم (رجل) غاروا عليه وضنوا به ضن الشحيح بدرهمه. وهذه الخصلة لولا ما ينشا عنها من تأخير سير العلم وعرقلة سبيل الارتقاء وخلط المبادىء غثها بسمينها وصحيحها بباطلها لما كان لاحد ان يشكو منها

فغرضنا الآن في هذه المقالات كما اعلنا في الجزء الاول ان ننظر في الفلسفة (الافغانية والعبدية (١) نظراً مجرداً بقطع النظر عما يجب علينا من الاحترام والمراعاة لرجلين كبيرين صرفا حياتهما في خدمة مبادئهما وبذلا في هذا السبيل كل مرتخص وغال حتى راحتهما وحريتهما في بعض الاحيان . ونحن نعيد هنا ما قلناه في الجزء الثاني من اننا قد نكون مخطئين في حكمنا ولكن شفيعنا سلامة النية والرغبة في تمحيص وتحقيق مبادىء يتوقف عليها حياة امم المشرق ونحن في جملتها

كتب الافغاني وعقمه

ولو كان بحثنا في مجرد حياة جمال الدين واعماله لكان هذا البحث مما يُشك في فائدته او صحته لان كل فريق يمكنه ان يؤول مبادىء صاحب الترجمة واعماله بحسب ما تقتضيه امياله . ولكن بحثنا هنا في مبادىء جمال الدين في كتبه . وقد قلنا كتبه ولا نظن انه ألف غير رسالته في (الرد على الدهريين) وهذا ما حمل مجلة المقتطف على ان تقول يوماً اذ سئلت لماذا لم تترجم جمال الدين الافغاني ــ انها لا تعرف شيئاً عنه لتبسط مبادئه وآراءه . وكانت لذلك العهد قد كلفت بهذه الترجمة الشيخ محمد عبده رحمه الله وكان يومئذٍ مستشاراً للمحاكم المصرية تخلصاً من الخوض في امور قد تعود باللائمة عليها . ولكن الاستاذ اعتذر يومئذٍ باعتلال صحته. ولعله كتب الترجمة التي نشرناها في الجزء السابق بعد

---

(١) نسبة الى الافغاني ومحمد عبده

ذلك التاريخ . او انه كتبها قبله في حياة الافغاني كما يُفهم من بعض عبارات وردت فيها ولكن كره ارشاد المقتطف اليها اما لتبدل رأيه في كثير مما ارتآه فيها او مجاملة لوسط سياسي جديد كان رحمه الله بعد نفسه لان يفوز بالقدح المعلى فيه لان روح تلك الترجمة كانت ضد السلطنة الانكليزية كما يتضح لمطالعها

فما نرويه ونستدل به في هذه الفصول على مبادىء الافغاني انما هو مأخوذ بلا شبهة من مبادىء الافغاني نفسه . والكلام كلامه الا الثوب العربي الجميل الذي نسجه له محمد عبده تلميذه مترجم الرسالة التي نحن الآن في صددها لان اصلها فارسي . وجدير بنا هنا ان نستغرب عقم الافغاني الذي لم يكتب سوى هذه الرسالة الصغيرة . لان من كان بهمة كهمته . وحماسة كحماسته . واقدام على انهاض الامم الاسلاميـة في الشرق كاقدامه . يُستغرب منه ان يرضى بهذا العقم ولا يختط في كتب مخصوصة الخطة التي كان قد رسمها للشرق في ذهنه . ولكن هذه الملاحظة تعيدنا الى القول السابق من ان الناس في الشرق يقيسون كبر الشخص وصغره بمقياس فاسد . فلو كان الافغاني في الغرب لما قعد عن ان يكتب في كل عام او عامين كتاباً يبرز فيه مـا تحدثه به نفسه ويجول في فكره من نتائج عمله واختباره . لان قيمة الانسان هناك (١) ما يحسنه ويبرزه من آثار القوة والنشاط والعلم النافع . والذي لا تبدو منه عندهم هذه القوة لا تدوم له شهرة ولا يعدونه مبرزًا

سؤال من هند للافغاني

لما انتشرت المدنية الانكليزية في اقطار الهنـد واقبل متأدبو الهنود من مسلمين وغير مسلمين على مطالعة كتب الانكليز العلمية والفلسفية كثر بينهم عدد القائلين بصحة المبادى الطبيعية وسموا انفسهم (طبيعيين) . وهذه الحالة لازمة عن دخول العلم الطبيعي الى البلاد وقد ظهرت آثارها في بلاد الشام ومصر ولم تنفرد الهند بها . وهي عبارة عن نزاع بين مبدأين . الاول مبدأ (العلم الحسي) الذي يقضي بان لا يسلم الانسان بشيء الا متى قام عليه برهان عقلي . والثاني مبدأ « الدين) وهو التصديق بالشيء وان لم يقم عليه دليل عقلي وهو ما يسمونه (التسليم » وان بين هذين المبدأين ما بين الارض والسماء

فلما استشرى خطب الطبيعيين في الهند كتب احد ادباء الهند الى السيد جمال الدين

---

(١) لما كنا في مصر اعتدنا عند الكلام عن الغرب ان نقول (هناك) اما والجامعة اصبحت تنتشر في الغرب فالواجب ان نقول (هنا بعد الآن

يستفتيه في مذهبهم. وكان ذلك في ١٩ محرم سنة ١٢٩٨ ومما قاله في كتابه اليه « لا تخلو بلد او قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب «نيشري» ويظهر لنا ان من تعلق عليهم هذا اللقب ينمو عددهم على امتداد الزمان خصوصاً بين المسلمين . ولقد سألت اكثر من لاقيت من هذه الطائفة ما حقيقة النيشرية وفي اي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا ان تقوم عماد المدنية ولا تعدو هذا القصد اولها مقاصد اخرى. وهل طريقتهم تنافي اصول « الدين المطلق » او هي لا تعارضه بوجه ما . واي نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية . فان كانت هذه الطريقة من النحل القديم فلمَ لم تنشر بيننا ولم نعهدها دعاة الا في هذه الاوقات. وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها واي اثر يكون عن الاخذ بها

« ولكن لم يفدني احد منهم عما سألت بجواب شافٍ كافٍ . ولهذا التمس من جنابكم العالي ان تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام »

الاحتكاك

بين الغرب والشرق . المبدأ الحديث والمبدأ القديم

فيلسوف لم يُذكر اسمه باللغة العربية

ويخيل للناظر نظراً سطحياً ان هذا السؤال كان عبارة عن استفتاء من السائل في نفع العلم الطبيعي او ضره . ولكن الناظر في اعماق الامور يرى ان هذا السؤال اهم من ذلك كثيراً . لانه كان نتيجة اول احتكاك بدا في العصر الحديث بين العلم والمدنية الاوروبية الحديثة من جهة والاديان الشرقية ومدنياتها القديمة من جهة اخرى . فالجواب عن هذا السؤال يشمل امرين عظيمين عليهما يتوقف خراب الشرق او عماره . الاول علاقة العلم بالدين . وهذا الامر وان كان في اقصى درجات الاهمية للشرقيين لان مدنياتهم القديمة اكثرها ديني محض الا انه مع ذلك اقل اهمية من الامر الثاني الذي نبسطه هنا

كلنا نعرف الشرق لاننا ابناؤه . واذا انتقل الانسان منه الى وسط كالوسط الاميركي والاوروبي مثلاً فانه يزداد علماً بسر انحطاطه وضعفه . فكم من مرة ونحن في مصر قرأنا للسياح والسائحات الاوروبيين والاميركيين في الشرق انتقاداً مراً على اخلاق ابنائه . ولا نزال نذكر جواب احدهم وقد سئل ما الذي ادهشك في سياحتك في الشرق اكثر من كل امر فاجاب : الذي ادهشني وضحكت له كثيراً جلوس الناس في النهار والليل في

القهاوي والاماكن العمومية بسكينة الفلاسفة وسذاجة الاطفال وهم يدخنون ويتحادثون كأن بلادهم اعز البلاد منالاً وكانهم انعم اهل الارض بالاً. واصلحهم حالاً. واوفرهم مالاً. مع انهم هم وبلادهم على ما نعلم من الضعف والوهن والانحطاط. فهذا الجواب الذي كوى به السائح الغربي احشاء الشرق كما بفولاذ محمي جواب صحيح ينبش علة الشرق من مدفنها ويذكرنا المبادىء التي يجب ادخالها اليه والجراثيم التي يجب قتلها فيه

ولسنا نبحث هنا في علل المشرق لنفيض في هذا الموضوع بل بحثنا هنا في ان جواب الافغاني على ذلك السؤال كان جواباً يقطع سبيل الارتقاء على امم المشرق الاسلامية ويناقض مصلحة المدنية فيه ويحل عزائمها. سئل احد علماء الالمان بماذا ارتقت امتكم بعد انحطاطها وقويت بعد ضعفها. فاجاب انها قويت وارتقت برجلين: بسمارك ونيتش(١) والناس في الشرق يعرفون بسمارك جامع الامم الالمانية ومنشيء وحدتها وصارع فرنسا في حرب السبعين. ولكنهم لم يسمعوا اسم «نيتش» حتى الآن على ما نظن

وليس غرضنا في كلامنا هنا عن فيلسوف الالمان الاكبر ان نبسط مبادئه وترجمته. فاننا ارجأنا هذا الامر الى فرصة اخرى ريثما نفرغ من مطالعة اهم كتبه وجمع مبادئها التي نشتغل بجمعها وغربلتها منذ سنتين. فنكتفي الآن بان نقول ان فكر «نيتش» هو الذي دفع المانيا ذلك الاندفاع في سبيل الرقى. وقد ظهر تاثير افكار نيتس في اكثر فلاسفة المتاخرين انكليز وفرنسويين ومشاهير الكتاب العصريين في اوروبا واميركا فصاروا يسمون «نيتشياً» كل كاتب تظهر في كتاباته آثار فكر فيلسوف الالمان. ولا نتعرض هنا لمبادئه الدينية لانه تطرف بها تطرفاً قبيحاً لا نظنه صدر عن رجل عاقل قبله ولا بعده(٢) فانه يسمي الاديان نسيج خرافات وترهات ويحمل على العاطفة الدينية حملة المجانين لسحقها وافنائها. وبودنا لو وقفنا على راي الفيلسوف رنان بشبر العاطفة الدينية في اوروبا في مبادىء هذا الفيلسوف. ومن اقواله في الدين انه هو الذي افسد العالم وافنى نشاط البشر وعودهم الخمول والكسل وانه لولا الدين لكان العالم اليوم ارقى منه الآن. الى غير ذلك من الاقوال الواهنة الصادرة عن طبيعة قوية شرسة لا تفهم ان العاطفة الدينية اي اتجاه المخلوق نحو الخالق المجهول وتأمله في مبداه وحاله ومصيره امر مغروس في فطرة الانسان وطبيعته

ولكن اذا كانت مبادئه الدينية واهنة ضعيفة فمبادئه السيسولوجية غاية في المتانة.

---

(١) Nietzche

(٢) نيتش توفي بعد ان جن

ونقول غاية في المتانة والغرض من قولنا هذا انها متينة عند الفلاسفة الماديين والرياليست لا الايدياليست . وهي قائمة على دعامة واحدة «القوة والنشاط» (١) يجب على الانسان ان يكون قوياً نشيطاً . فكل ما يزيد قوته ونشاطه حسن صحيح وكل ما يضعف قوته ونشاطه باطل قبيح . يجب انماء قوى الانسان العقلية والبدنية واعطاؤها مداها وكل ما يوقف نموها هذا باطل يجب تركه . نحن نريد اقوياء اصحاء اما الضعفاء والخاملون والكسالى فادفعوهم من طريقكم واذا اقتضى الامر تغييبهم من هذا الوجود فساعدوهم على هذا الغياب (٢)

واأسفاه . اننا لا نقول ان هذه المبادىء مبادىء كمالية جدير بالانسان العاقل ان يتبعها ولكن نقول ان الشعب او الفرد الذي يريد الحياة في هذه الدنيا لا بد له من مراقبتها والاحتياط لها لئلا يدوسه اصحابها . لان الخرفان لا يعيشون في هذه الدنيا واذا عاشوا فيها فللسلخ وجز الصوف ودر اللبن . وهذه الامم الاوروبية مندفعة من كل جهات اوروبا واميركا بمبادىء نيتش هذه تدوس في الشرق وغير الشرق كل ضعيف يعترض مسيرها . فماذا يفعل تسليمنا الخرفاني في الشرق وسكينتنا الفلسفية وجمودنا البوذي وتأملنا الكونفوشيوسي وايماننا الاسلامي ورفقنا المسيحي ـ ماذا تفعل كل هذه الفضائل السلبية بمزايا الغربيين الايجابية التي غرضها الاستيلاء على الارض (بالقوة والنشاط) عقلياً وبدنيا بقطع النظر عن عاطفة النفس وقوتها الدينية

وان قيل ان الآلة المراد بث روح القوة والنشاط بها في نفوس امم المشرق الاسلامية ودفعها في طريق العمل كما اندفعت اليه امم المغرب بمبادىء نيتش وغيره انما هي هذا الدين . اذ لا مؤثر فعال في الشرق مثله . فهذا الاعتراض مقبول عند المفكر في الامور تفكيراً سطحياً ولكنه مردود عند الناظر فيه بامعان . فانه اذا كان المقصود من تحميس الامم للدين جمعها بهذه الجامعة فبلوغ هذا الغرض امر ميسور . ولكن نريد ان نسأل ما هي الفوائد التي تنجم عن هذا التحميس وهذا الجمع . اننا لا نرى هناك الا فائدة واحدة وهي اتخاذ الجامعة الاسلامية آلة لمقاومة اوروبا مقاومة سلبية . ونعني بالمقاومة السلبية مقاومة تزعج المقاوَم (بفتح الواو) دون ان تبطل مقاصده وبالتالي دون ان تنفع المقاوِم (بكسرها) نفعاً حقيقياً . فهي آلة للازعاج لا للفائدة . وازعاجها هذا يشمل الفريقين اي الخصمين

---

(1) Force, energie

(٢) كتاب نيتش (بدء الظلام عند الاصنام) يعني عند المعبودات
La Crepiscule des idoles

الا اذا وجدوراءها قوة حربية تنفذ المراد الحقيقي منها وهذا حلم وهم في حالة العالم الحاضرة. اما القول بان الامم الاسلامية يمكنها باجتماعها حول لواء الدين ان تبلغ ما بلغت اليه الامم الغربية عند اخذها باصول العلم الطبيعي فقول من لا يعرف شيئاً من تاريخ العمران في الارض وطبيعة البشر فيها . فان هذا القول ينتج شرّين . (الاول) تثبيط العزائم عن العلم الطبيعي الذي عليه بناء المدنية في هذا العصر . فيصبح الفرد اذا كان مؤمناً ايماناً حقيقياً مكتفياً بهذا الايمان عن كل شيء سواه لاعتقاده انه متى تمّ الايمان لشخص اقبلت عليه الدنيا بعد ذلك عفواً من تلقاء نفسها . فيصبح و يبيت قائلاً (الحمد لله انني مؤمن) ويرى نفسه كبيراً بهذا الايمان وان كان اصغر رجل في الدنيا . او اذا كان ممن اجتذبته مبادىء القناعة والرضى بالكفاف اكتفى بسذاجته القلبية وطهارة سيرته وسريرته عن كل عمل وكل اقدام في الدنيا . ما الفائدة من هذا السعي اذا كانت الارزاق مقسمة بين الناس والحياة باطلة والدنيا زائلة . اذا فاتته خيرات الارض فانه سيتمتع بخيرات الآخرة . فيا طبيعة البشر لله ما اجملك حين تكونين مخلصة طاهرة طهارة حقيقية. ولكن هذا الجمال من سوء الحظ ينشىء الضعف في النفس بدل القوة والنشاط والحماسة المطلوب انشاؤها كما تقدم. بقي (الشر الثاني) وهو ينتج عادة عن اختلاف مشارب الناس باختلاف طبائعهم الوراثية وتربيتهم الخصوصية والعمومية وحوادث حياتهم . فانك بينما ترى الشعب مثلاً منصرفاً الى الدين بتلك المبادىء التي تقدم ذكرها باذلاً في سبيلها كل مرتخص وغال حتى حياته في بعض الاحيان ترى رؤساءه واكابره واصحاب الاثرة فيه و رجال العمل الذين ينشأ ون على مبادىء غير تلك المبادىء منصرفين عن الدين في الباطن وان كانوا مقبلين عليه في الظاهر وهمهم استخدام ذلك الشعب الديّن المسكين في تحصيل ثروة لهم وخدمة مقاصدهم السياسية والدينية والاجتماعية . فهل تقوم امة هذه حالها

وان قيل ان المدنية الاسلامية القديمة جمعت بين « القوة » والدين معاً وأنشات بها سلطنة واسعة وتمدناً عظيماً فنحن لا ننكر انه يمكن الجمع بين الامرين ولكنا ننكر قيام امة وامتداد رواق عزها اذا كانت تجعل امورها الدينية مقدمة على امورها المدنية اي تجعل انماء العاطفة الدينية في النفس مقدماً على انماء نشاط الفرد وقواه العقلية والبدنية . اما الامم الاسلامية التي انشأت في ما غبر مدنيات عظيمة فقد كانت مسوقة الى ذلك بامرين الاول حب الفتح لاكتساب الثروة والثاني نشر الدين بين الامم طوعاً او كرهاً بحق الجهاد . « فحب الفتح وحب الجهاد » كانا اعظم مثير للهمم واكبر شاحذ للعزائم . وكأن مبادىء نيتش

كانت يومئذٍ تتخلل نفوس الامم الاسلامية من طريق ديني فيؤثر فيها الدين ما تؤثره اليوم مبادىء نيتش في اصحابها . ولكن في هذا الزمان وقد تغيرت الارض ومن عليها لا تؤثر السياسة الدينية في بني الشرق غير زيادة ضعفهم وحل عزائمهم بازاء الحيتان الهائلة المندفعة عليهم لابتلاعهم . فجواب الافغاني للسائل من الهند بان علماء الطبيعة ضلوا السبيل وبان الاصلاح لا يرجى الا بالدين جواب يؤخر تقدم الشرق لو كان لكلام الافغاني تأثير كلي عليه

جواب الافغاني

وانظر بماذا اجابه . انه مثلاً كان يقدر ان يقول له ما يلي او مثله . وهو قريب من الجواب الذي كان ابن رشد يجيب به خصومه

« العلم الطبيعي من الامور المعقولة المحسوسة . والدين من الامور الالهية فلا تخلطوا هذا بذاك . استعملوا العلم الطبيعي في انماء قوة العقل والبدن والوقوف على اسرار الطبيعة وتقوية نفس الانسان وشحذ عزائمه بنواميسها واصلاح الارض بقوتها . واستعملوا الدين لسلامة النفس من الادران . كل واحد من هذين العلمين « علم الطبيعة وعلم الدين » لازم لهذا المجتمع البشري . فيجب التوفيق بينهما لا تفريقهما . واذا رايتم في اهل العلم الطبيعي الذين تسمونهم « نيشريين » او في اهل الدين الذين تسمونهم ما تسمونهم به نقائص ورذائل وموبقات فهذه الصغائر تنشأ في طبائع اصحاب العلم واصحاب الدين « لا في العلم والدين » اذ مثل رجل العلم ورجل الدين مثل اناء فيه ماء زلال . فاذا فسد الاناء وافسد الماء فما ذنب الماء »

ولكن الاستاذ جمال الدين رحمه الله لم يجب بمثل هذا الجواب بل اجاب جواباً آخر يدهش قارئه . فانه خلط متقدمي فلاسفة اليونان مثل ديموقراط وابيقور وديوجينوس بعلماء العصر الحديث مثل درو ين وفولتير ور وسو واندفع عليهم وعلى جميع من اشتغل بالعلم الطبيعي اندفاعاً ما كان يخطر لاحد ببال (١) فتصورنا حين قراءة ذلك الجواب المدهش

(١) اليك نتفاً مما قاله في جوابه « النيشر اسم للطبيعة وطريقة النيشر هي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد ارباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع اساس الاباحة والاشتراك في الاموال والابضاع بين الناس عامة » قلنا وهذه التهم التي الصقها الافغاني بالطبيعيين لا يجهل صبيان المدارس

الافغاني رحمه الله طفلاً ثائرًا في يده فأس يحاول بها ان يهدم اساس العلم الطبيعي لرده عن الشرق . ولكنه لا يؤثر فيه قطعياً

اسباب هذا الجواب

وبعد قراءة هذه الرسالة فكرنا طويلاً في الاسباب التي حملت الافغاني على هذه الحدة والشدة التي لم تجرِ العادة بصدورها عن حكماء الزمان . فلاح لنا منها عدة اسباب

اولاً — ان الافغاني رحمه الله كتب رسالته هذه في الهند بعد اخراجه من مصر . وكان خصومه في مصر قد اتهموه بالكفر والزندقة والمروق من الدين لتحليله جزئيات كانوا يحرمونها . ولما كان طامحاً الى امامة المسلمين الكبرى في جميع الاقطار الف هذه الرسالة التي حمل بها على العلم الطبيعي تلك الحملة المنكرة تبرؤاً من تلك التهمة . ولو لم يكن هذا من اهم اغراضه في كتابة رسالته لما جعل هذه الاهمية لذلك السؤال الصغير الذي القاه عليه سائل من الهند . فان خصومه لم يكونوا فولتير وروسو ودروين وديموقراط وابيقور والطبيعيين بل كان خصومه وخصوم بيته وخصوم الشرق باسره المستعمرين الذين اكتسحوا المشرق وتسلطوا عليه

اليوم انها باطلة . وقال عن العلامة درو ين « وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهيل الاوهام ومهامه الخرافات الا قرب المشابهة بين القرد والانسان وكأن ما اخذ به من الشبه الواهية ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الخبرة وحسرات العماية » وقال في موضع آخر عن علماء الطبيعة « كانوا يظهرون في اوقات بدعوى السعي في تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات و تارات يتمثلون في صورة محبي الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين » وقال في صفحة اخرى « وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها اوهاماً باطلة ومجعولات وضعية » قلنا . مع ان درون ورو-و وفولتير الذين حمل عليهم حملته المنكرة لم يكونوا ملحدين فانهم كانوا يؤمنون بالله ايماناً صريحاً ظاهرًا في كتبهم . ومنتهى الغرابة في قوله ان الفرنسويين كانوا شعباً عظيماً حتى ظهر فيهم فولتير وروسو « يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر ابيقور الكلبي واحييا ما بلي من عظام الناتور اليسم « الدهريين » ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما ان الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعما ان الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانساني وجهر كل منهما بانكار الالوهية ورفع

ثانياً ــ ان المستعمرين الاوروبيين في دخولهم الى الشرق لامتلاكه وتعميره انما يحملون بين ايديهم شعلة العلم الطبيعي الذي يصلحون به الارض فيحفرون الترع وينشئون الجسور والسكك الحديدية ويبنون المنازل الفاخرة ويجلبون البضائع النفيسة ويقيمون المعامل النافعة . وغنيٌ عن البيان ان هذه النعم العديدة التي لا ينكرها الا «كل مكابر وللحق مدابر» كما كان يقول محمد عبده من مزاياها ان تجتذب اليها والى اصحابها الناس الذين انتفعوا بها ونخص منهم الناشئة الجديدة التي تكره وهي في اول عمرها الوقوف والجمود الذي اعتاده الناس في الشرق ولذلك تتحمس للاصلاحات الاجتماعية النافعة تحمساً شديداً . وظاهر بذاته ان المتأدبين من ابناء الهند وفارس وافغانستان الذين ادهشتهم اصلاحات المدنية الغربية الداخلة عليهم بدءوا يميلون الى المبادىء الغربية . ومتى مالوا اليها ميلاً تاماً زالت او نقصت سلطة ائمتهم عليهم . فاصبح من مصلحة هؤلاء الائمة ان يبرهنوا لهم ان هذه المدنية الغربية كلاشيء وان النهضة الحقيقية التي ترجى لهم انما تكون

كل عقيرته بالتشنيع على الانبياء » قلنا من العجب ان يجهل السيد الافغاني التاريخ الى هذا الحد فاولاً ان الشعب الفرنسوي بعد الثورة اي بعد فولتير وروسو كان اعظم واقوى من قبلها لانه على زمن نابوليون الاول بلغ اوج العظمة والسيادة . وثانياً ان ما نسبه الى فولتير وروسو يدل على ان الاستاذ الافغاني سمع بمبادئهما ولم يقرأ كتاباً لهما لان الاثنين يؤمنان بالله ايماناً جهرا به في كل صفحة من كتبهما . ولفولتير بيتان مشهوران باللغة الفرنسوية وقد ترجمهما صاحب الجامعة لما كان في صباه ينظم شعراً ترجمة حرفية في بيتين هما على ما نظن اول واخر شعر ينشر له في الجامعة واليك البيتين

يحار عقلي بهذا الكون حيرته بساعةٍ في رمال القفر ملقاةِ

فما نصدق منا قول من زعموا بانها وجدت من دون ساعاتي

وزد على ذلك ان روسو كان في زمنه الخصم الاكبر والعدو الالد للماديين الفرنسويين وله مناظرات شديدة معهم وهم معروفون بفرنسا بالانسيكلوبيذيين . فما كان يخطر لنا ببال ان رجلاً كالافغاني رحمه الله يرمي الكلام على علاته هذا الرمي وينسب ما نسبه الى اناس ضحوا مثله راحتهم وقواهم وحريتهم في سبيل خدمة بني الانسان في الارض . ومنتهى الاعجاز في قوله « لا جرم ان مزاج الانسان الكبير «يعني عموم النوع » بما اودع الله فيه من الشعور الفطري وهو اثر الحكمة الالهية العامة يمج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم في باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة ! او الذنانة من المنخر او النخامة من الصدر »

على ايدي أئمتهم. فقد يمكن ان تكون رسالة جمال الدين صوتاً صارخاً بالهنود والايرانيين والافغانيين وربما الاتراك والمصريين ايضاً لتفهيمهم ان الاصلاح الذي يأتي على يد السيد جمال الدين خير من الاصلاح الداخل على ايدي الانكليز

ثالثاً ـ لا نتعرض لعقيدة السيد جمال الدين لاننا لا نعرف شيئاً عنها . وتكفينا شهادة الاستاذ تلميذه ورفيقه الشيخ محمد عبده بانها « كانت صحيحة » وما رماه به خصومه يوم كان في الاستانة من انه قال في خطبة القاها « ان النبوءة صنعة كباقي الصنائع » انما هو سلاح يحارب به الخصوم خصومهم حين تقصر الحجة . وكذلك ما رماه به بعضهم في مصر من الكفر لا يصح ان يتخذ دليلاً على حقيقة عقيدته لانه من ذاك القبيل . ولكننا نلاحظ هنا ملاحظة لا نحجم عن ذكرها وهي تشمل جميع الاديان الحية الان . فان المستنيرين في كل امة وكل دين عند نظرهم في امور دينهم يجدون فيها اشياء يودون لو انها لم توجد ويدعون الى غض النظر عنها. اي انهم يعتقدون في اعماق انفسهم ـ في اماكن لا يخرج منها راي لاحد ولا يدخل اليها راي احد ـ بصحة بعض المبادىء وبعدم صحة بعضها . ومتى وقع هذا الفصل والتفريق بين مبادىء الدين كان وقوعه بمنزلة وقوع الشك في الدين نفسه . ومتى وقع شيء من هذا لرجل عاقل صناعته النظر في شؤون الناس والتفكير والبحث لهم فانه يختط للدين في نفسه ونفوس سامعيه وقارئيه خطة جديدة فيدعو حينئذٍ الى « نفع » الدين لا الى « صحته » اي انه يبني الدين على مبدا «النفعيين» فيبحث في آثاره وفوائده لا في مبادئه وقواعده . وآثار هذا القصد ظاهرة في رسالة الافغاني رحمه الله . فانه في كل صفحة تقريباً يقول « لا ريبة في ان الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعي » . لن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة . ونحن لا ننظر هنا في ما يعود من الضرّ على الدين نفسه بجعله « نفعياً » . فان مبدا « النفعيين » الذين يجعلون « النفع » قاعدة كل مبدا ومقياسه لهو مبدا مردود عند الفلاسفة الايدياليست الذين يعتقدون بوجود « الخير بذاته » و « الادب بذاته » بصرف النظر عن منافع الناس بل عن وجودهم نفسه . فانهم يقولون ان الخير بذاته والادب بذاته موجودان ثابتان وان لم يوجد في الارض انسان. واذا اضمحلت الكرة الارضية غداً ونشأ منها بعد اضمحلالها كرة جديدة وعاش عليها بشر من جديد فان الخير بذاته والادب بذاته ينبتان في هذا المجتمع البشري الجديد كما كانا قبل اضمحلال الارض. هذا مبدا القائلين بوجود الخير بذاته والادب بذاته وهو يناقض كل المناقضة مبدا النفعيين الذين يعلقون المبادىء على نفعها لا على

صحتها. والدين متى تدهور في « هاوية النفع » فانه يغيب فيها ولا يعود يخرج منها . فاذاً نفع سنة او جيلاً او نصف قرن او قرناً كان نفعه هذا بمثابة خروج دمه من جسمه ولا يعقب هذا الخروج حياة. فالدعوة الى « نفع الدين » دعوة تقتل الدين غداً وان انتفع به اليوم. وهنا نصل الى المقصود من هذه الشذرة فاننا نميل الى الترجيح بان السيد الافغاني رحمه الله كان مخلصاً في دعوته هذه ونعتقد انه اذا لم يكن مخلصاً فيها كلها فلا شك انه كان مخلصاً في نصفها مثلاً انه حين يدعو هذه الدعوة الشديدة الى الدين الاسلامي ويذكّر امراء الشرق بسابق مجدهم وعزهم قد يكون غرضه جمع كلمتهم وتاليف قلوبهم على المستعمرين الداخلين عليهم فهو معذور في اتخاذه الدين آلة سياسية لجمع الشرق على الهاجمين عليه الطامحين اليه ولكن اذا لم يكن مخلصاً في دعوته من هذا الوجه فانه مخلص فيها من وجه آخر

ان السيد الافغاني ربي في بيت الامارة وعاش في وسط طبيعة عظيمة حراً متعوداً السيادة. وهو فوق ذلك ذو طبيعة متحمسة شديدة. قال مترجمه الشيخ محمد عبده « ففارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوباً لحدته » وقال في موضع آخر « طموح الى مقصده اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيراً ما كان التعجل علة الحرمان » فلما ساح الافغاني في اوربا وشاهد فرنسا وانكلترا لم تفته المقابلة بين حالة الغربيين وحالة بلاده فانه راى في الغرب ازدحام المنازل وقذارة احياء العملة واكدرار الجو بالبخار والدخان والضباب وشاهد قوماً يصارعون العناصر والطبيعة طول النهار فيركضون ويعملون ويتعبون في بناء اعظم مدنية قامت في الكرة الارضية . شاهد علماء وساسة وكليات ومجالس شورى ومتاحف ومكاتب ومصانع ومزارع وجرائد وملاهي . وشعباً كنجوم السماء يدور حولها ويعيش منها وبها. ثم التفت فماذا رأى ؟ راى ان الرذائل التي تركها في قبائل افغانستان والهند وايران فاشية في قلب تلك المدنية الراقية العظيمة . ابصر القتل والسرقة والغش والعدوان والظلم والغدر والطمع والقسوة الخ .. بل راى منها في قلب المدنية العظيمة ما لم يرَ مثله في القبائل الضعيفة العائشة في سذاجة الطبيعة . فقال في نفسه حينئذٍ ان هؤلاء الناس يتعبون في بناء المدنية على غير هدى. وكان رحمه الله يعيش بالفكر من اجل الفكر كجميع المتحمسين الايديياليست . والدهر وان اناخ عليه بكلكله وكواه بنار اختباراته لم يجعله « نفعياً محضاً » ويصرف فكره الى الفوائد العملية بدل الفوائد النظرية . فعاد من اوروبا وصاح بقومه في هذه الرسالة تلك الصيحة يقصد بها تفهيم اهل الشرق ان

مدنيتهم المبنية على الدين خير من مدنية اوربا المبنية على لا دين . فهو مخلص ولا شك في صياحه هذا . ولكن هذا الحكم في راينا حكم سطحي لان جميع المدنيات الدينية التي قامت في الارض قبل الاسلام و بعده لم تخلُ في اي زمن من ازمانها من تلك الرذائل والمو بقات التي تحق الشكوى منها . فليست الرذائل والمو بقات في المدنية ولا في الدين ولكن في الطبيعة البشرية الضعيفة . ولم يثبت حتى الان ان الدين في اي زمن من الازمان قدر على استئصالها الا في بعض خواص الناس . والمدنية الحقيقية تفعل مثل هذا الفعل في الخواص ايضاً . فالاصلاح الديني والاصلاح المدني في الارض لا يثمران الثمر المطلوب اي لا ينشئان انسانية صالحة جديدة الا بعد « اصلاح اجتماعي عام » يمحو الفقر والظلم والجهل من بين الانام . وهذا عمل علمي اجتماعي سياسي لا عمل ديني

هذا ما نقوله في الاسباب التي حملت الافغاني على كتابة رسالته . و يرى القارئ منها اننا بدأ نا في الدخول في لباب الموضوع والنزول الى اعماقه . وسنشرع في الجزء التالي في تلخيص هذه الرسالة تلخيصاً يدل على قوتها وضعفها . وسنرى حين المقارنة بين الافغاني و تلميذه محمد عبده ان التلميذ كان خيراً من استاذه من عدة وجوه

التلغراف اللاسلكي

و زيارة سوري له في بلدة برنت روك ماس (١)

﴿ لطف الاستاذ فسينديـن ﴾ اسعدني الحظ وقادني الاتفاق الى بلدة برنت روك ماس التي فيها ادارة التلغراف الاسلكي . فقصدت مكان الادارة ولما هممت بالدخول وجدت على الباب كتابة خلاصتها (ان الدخول ممنوع لغير المامورين) فاسفت لذلك كثيراً وعدت خائباً . وفيما انا اقلب طرفي في عمود

(١) كانت الجامعة فيما نظن اول من سمى « التلغراف بلا سلك » « لاسلكي » قياساً على « اللانهاية » و « اللاادرية » وذلك في مقالة عنوانها « افريقيا والمسيو هانوتو » في سنتها الرابعة . و يظهر ان الكتاب اصطلحوا اليوم على هذه التسمية

التلغراف الشاهق حانت مني التفاتة فشاهدت رجلاً بالقرب مني وعلى عينيه نظارة يراقب بها جهة البحر · فدنوت منه وسلمت عليه فرد التحية بلطف و بشاشة · فقلت له وقد ازددت جرأةً ما قولك في هذا الاختراع العجيب اختراع مركوني · فاجاب انه لعجيب ولكنه لم يتم الا بعد دخوله الى الولايات المتحدة · فاستغربت هذا القول · وكان الرجل في اثناء ذلك لا يزال يراقب بنظارته حركات المراكب الشراعية في البحر · فبعد هنيهة سألني الي اي بلاد تنتسب فاجبته الي تركيا · فضحك لما ذكرت له اسم تركيا وقال اتحسن لغتك · فاجبت نعم · فقال اتبعني · ومن حسن الاتفاق ان هذا الرجل كان الاستاذ فسيندين مدير المكان

﴿التلغراف اللاسلكي لمكة والحجاز﴾ فتبعته الى منزل بسيط والناظر اليه من الخارج لا يظن ان هذا المكان يحتوي على اكبر عجائب العصر · فدهشت للبساطة التي يسكنها العلم بازاء القصور المزخرفة الشاهقة التي يسكنها اهل البطالة والترف من الاغنياء

ولما دخلت الى الغرفة تلطف الاستاذ وقدّم لي كرسياً وناولني سيكارًا · ثم قال لي انني مسرور لانك من تركيا اذ انني ساطلعك على امر يهمك · ثم تناول من جيبه كتاباً باللغة الفرنسوية وعليه التوقيع باللغة التركية وهذا ملخصه

الاستانة (تركيا) ــ حضرة الاستاذ فسيندين : في واشنطون

لقد بلغنا انكم كملتم اختراع ماركوني فاشتاقت نفسي الى معرفة عملكم · وقد بلغني منذ مدة انه يوجد في لندن محل كمحلكم فذهبت الى لندن وعجبت كثيراً · وانني اود ان يكون لنا في تركيا نصيب من هذه النعمة · فاذا كان بامكانكم ان تؤلفوا لجنة من تلامذتكم و ترسلوها الينا لتنظر في الاماكن التي نريد نصب التلغراف اللاسلكي فيها فاننا نكون لكم من الشاكرين · وهذه الاماكن هي من

الاستانة الى مكة ومن مكة الى المدينة وصنعاء والحديده · ونحن مستعدون لبذل كل ما يجب بذله من المال في سبيل هذا المشروع وجمع الاموال من اغنياء تركيا

الامضاء

« هنا كلمة لم نحسن قراءتها » باشا

اسلامبول تركيا

ادارة البريد

فلما اطلعت على هذا الكتاب داخلني الشك في صحة الامضاء لانه لو كانت تركيا ترغب في اقامة هذا التلغراف في بلادهــا فانها اولاً لا موجب لان تذكر استنجادها باغنياء بلادها وثانياً انها لو ارادته لكلفت سفيرها في واشنطون بالمخابرة بهذا الشان · فغلب على ظني انه اقتراح رجل يريد الاتفاق مع الاستاذ فسيندين على نيل امتياز بهذا الاختراع في بلاد الدولة العثمانية · والدولة العثمانية محتاجة الى هذا الاختراع خصوصاً لمكة والحجاز حيث اعتاد ثوار العرب قطع الاسلاك البرقية ولكنها لا يمكن ان تسمح لاحد بامتياز به لان الدول تجعله احتكاراً لنفسها كما فعلت مصر في هذا العام وذلك اتقاء لنشر الاخبار السرية في اثناء الحرب

وبعد قراءتي هذا الكتاب سالت الاستاذ فسيندين هل اجبت الباشا على كتابه فاجاب نعم اجبته بانــه لا يمكنني ان ارسل تلامذة فاذا احببتم الاطلاع على ما ادخلناه الى هذا الاختراع من الاتقان فنؤمل تشريفكم لتشــاهدوا ذلك بعينكم هنا

﴿مكان الآلات﴾ ثم اراني الاستاذ غرف الآلات · فهنا يقف القلم قاصراً عن وصف ما حوته · وبقينا ننتقل من غرفة الى غرفــة حتى بلغنا العمود الذي يقتبل من الهواء تموجات الكهرباء التي تحمل الاشارات التلغرافية وعلوه ٤٢٠

قدماً · ووصف حقيقة هذا الاختراع و تفاصيله مما يقتضي فصلاً مفرداً · و بعد ذلك ودعت الاستاذ وسرت شاكراً لطفه واتضاعه · و زاد احترامي لبلاد علماؤها بهذا الاتضاع

جرجي ابرهيم
الحداد

﴿ الجامعة ﴾ جميع بواخر الاتلانتيك التي تمخر في الاوقيانوس بين اوروبا واميركا تحمل آلة للتلغراف اللاسلكي لمخاطبة البر به وهي في عرض البحر · وفي بعضها لا في كلها جرائد تنشر لركاب الدرجة الاولى والثانية الاخبار التجارية والسياسية ترد عليها بالتلغراف المذكور · وقبل وصولنا على الباخرة لاتورين الي نيو يورك بيومين بينما كنا خارجين من قاعة المائدة عند الظهر وجدنا على المرآة فوق السلم تلغرافاً لاسلكياً وارداً على الباخرة محصله ان الذي القى القنبلة على الملك الفونس والملكة يوم زفافهما انتحرحين اكتشف البوليس امره · وقد كنا ونحن في الشرق نستغرب هذه الغرائب · فما اجمل ان يراها الانسان بعينيه ويمسها بيده

حال السوريين في دار هجرتهم

بقلم جناب الفاضل شبل افندي ناصيف دموس

٢

حالة التجارة السورية في الولايات المتحدة · اصنافها وتجارها وثروتهم · الصناعة الزراعة · السياسة

اصبحت تجارة السوريين في الولايات المتحدة غير محصورة في اصناف معلومة انما هي قد تجاوزت الى كل متاع يتاجر به على الاطلاق · واهمها بكثرة المتاجرين بها تجارة السلع النثرية والبضائع القطنية والكتانية والصوفية من لباس وقماش على اختلاف انواعها وكثرة عددها وهي ما يسمونه بالانكليزية Dry Goods · فمخازنهم المختصة بهذه الاصناف تربو عن الالف عدًا ما بين محال خصت ببيع الجملة وهي الاكثر واخرى خصت ببيع المفرق وهي الاقل · فمركز الاولى الاكثر اهمية هو نيويورك · ومركز الثانية هو مدن الداخلية · واذا قلب القارىء صفحات كتابي « R. G. Dun » و« Bradstreet » يرى تحت اسم كل مدينة من مدن الولايات المتحدة اسماء سورية كثيرة والى جانبها اشارات وحروف تدل على مراكزهم التجارية وتذكر قوتهم المالية · فصغيرهم تقدر ماليته ما بين خمسة الاف ريال و ١٠ آلاف ريال وكبيرهم ما بين ١٥٠٠٠٠ ريال و ٢٠٠٠٠٠ الف ريال (١) وهذه القوة لم تكن لهم منذ خمس سنين اعني ان ثروتهم اخذت بازدياد في السنين الخمس الاخيرة ازديادًا مدهشًا جدًا · ولذلك اسباب مهمة وكثيرة · منها الاقتصاد وهو طبيعة اكثرهم وطول الاختبار والبلوغ بعد العناء الكثير الى موضع الثقة العمومية حتى توفرت رؤوس اموالهم بالاستدانة من المصارف الوطنية · ثم هناك امر آخر اعظم اهمية من جميع ما ذكر ألا وهو غنى البلاد العظيم وتوفر الذهب والفضة مما يزيد كثيرًا عن حاجة الاهلين حتى لم يبقَ فقير في هذه البلاد التي تفيض خيراتها كالبحر الطامي · والسبب في انحصار اهمية تجارتهم في البضائع المذكورة هو انصبابهم على المتاجرة بها منذ بدء تاريخ هجرتهم اقتداء باليهود الذين يتاجرون باحتياجات الناس الضرورية · فكل سوري قدم هذه الارض منذ خمس سنين فما وراءها كان اول عمل باشر فيه هو حمل هذه البضائع وبيعها متنقلاً من بيت الى آخر · وهذه البضائع عبارة عن ملبوسات للرجال والنساء

(١) الريال الاميركي بقيمة الريال المصري وهو اكثر قليلاً من خمس الليرة الانكليزية

واقمشة كتانية متنوعة يستعملها الناس في بيوتهم على اختلاف طبقاتهم . وكبار المتاجرين بهذه الاصناف يعدون بالعشرات . ومن هذه التجارة تولدت معامل سورية تصنع بعض اصنافها . وهذه المعامل تزيد عن العشرين عدًا . ثم هناك تجارة البضائع الحريرية والمطرزات ومصنوعات اليد من شغل الابرة مما يسمونه بالانكليزية Lases . وتجار هذا الصنف وان قلوا عن اولئك عددًا فليسوا دونهم في الاهمية التجارية . فهم المتاجرون * بخفيف الحمل وغالي الثمن * يستجلبون بضائعهم من ممالك اوربا ويدفعون عنها رسومًا طائلة من جمرك وغيره ولهم العمال الكثيرون من السوريين المتفرقين في داخلية البلاد الذين يدخلون بيوت ذوي الثروة والوجاهة ببضائعهم هذه ويستبدلونها بالذهب والفضة. وهي بضائع تختص بالسيدات دون الرجال وبعضها تزان بها البيوت الفاخرة الاثاث . ويتولد عن هذه التجارة معامل خصت بصنع بعض هذه الاصناف منها . الكيمونا . العباءة النسائية والصدرة المطرزة . . شرت ويست . وقد ذكرناها في المقالة الاولى . ولارباب هذه التجارة الفضل الاكبر في تحسين شأن التجارة السورية لانهم عانوا مشقات جمة حتى استلفتوا اليهم انظار التجار الاميركيين الذين اقبلوا على معاملتهم بثقة وارتياح . اما عمالهم في الداخلية فهم تجار مستقلون يصرفون بضائعهم للاهالي من ذوي اليسار واكثرهم متنقلون بين المصائف والمشاتي حيثما يكثر وفد الاغنياء . ولهم مدن يأوون اليها في فصلي الربيع والخريف ومنهم يتألف معظم الطبقة السورية الراقية نظرًا لوجودهم في وسط الفئة الراقية من الامة الاميركية يعاملونها ويخالطونها ويصرفون معظم اوقاتهم بينها*

ثم تجيء تجارة السجاد العجمي وهذه اقتبسها السوريون عن الارمن وهي تجارة رائجة سوقها كثير ربحها الا ان المتعاطين بها قليلون ولكنهم كبار المنزلة بين السوريين والاميركيين على السواء . ثم تجارة السمانة السورية صرفًا ومعها التنبك العجمي والمشروبات الروحية وعدد تجارها يتراوح بين العشرين والثلاثين ولكنها باتساع دائرتها تكاد تحسب في الدرجة الاولى نظرًا لتهافت مائة وخمسين الف سوري على ماكولات بلادهم الاصلية . وتجار هذه الفئة يسكن كثيرهم وهم الاوفر ثروة في نيويورك وبوسطن وشيكاغو وبعض المدن الثانوية. ثم هناك تجارة اخرى متسعة الدائرة هي التجارة الخارجية التي تصدر جميع مصنوعات البلاد الى ممالك العالم وخاصة اميركا الجنوبية وجزائر الهند الغربية واربابها يقيمون في نيويورك لانها المركز الرئيسي لجميع تجارة الولايات

ثم تجارة الاملاك والعقارات وهذه لم يخصص السوريون اوقاتهم بمزاولتها صرفًا ولكنهم

فيها مزيج من جميع تجار الاصناف الانفة الذكر يتعاطون بفضلات اموالهم العقارات في المدن الكبرى التي تتعالى اسعارها كل يوم ومنهم ما يبلغ مدخول املاكه الشهري الف ريال اميركي وهو على زيادة في كل عام

ثم تجارة الاغلال والحبوب يخزنها اربابها في الصيف ويبيعونها في الشتاء بارباح طائلة وهي تجارة مضمون ربحها يكاد لا يتهددها خطر الخسارة . ثم تجارة الاثمار والخضرة فاربابها قسمان قسم يبيع بالجملة وهو الاوفر ثروة وقسم يبيع بالمفرق وهو ايضاً في نعمة من حيث المالية وهؤلاء التجار يعدون بالمئات

ثم تجارة الخيول والمواشي وهذه لم يبلغوا منها شأواً عالياً بعد

ثم تجارة الدخان التركي فاهلها قليلون جداً يعدون على الاصابع ولكنهم على تقدم في الثروة عظيم . لان سيكاراتهم تدخن في كل مدينة على الاطلاق وطلابها كثيرون حتى ان نموها العظيم استلفت انظار شركات الاحتكار فهم يطلبون ضمها الى معاملهم الواسعة باثمان باهظة

ثم يوجد فئة اخرى في داخلية البلاد تتجر بجميع مصنوعات البلاد في مخازن كبيرة جداً تبيع بالمفرق وهم يحذون حذو تجار المدن الكبرى وقد اتخذوا الولايات الغربية مسكناً نظراً لقلة المزاحمة . وقد بلغوا درجة عالية من الاهمية حتى انك ترى في المخزن الواحد مائة مستخدم وفوقها

فيرى القارىء ان تجارة السوريين واسعة الدائرة متنوعة الاصناف جرعها في نيويورك واغصانها في جميع الولايات خصوصاً وباقي الاقطار الاميركية عموماً . وثروتهم كبيرة جداً بالنسبة لعددهم فهم وان لم يبلغ غنى الواحد منهم مليوناً بعد (١) ولكن اذا تفرقت اموالهم بينهم كان نصيب الفرد الواحد منهم مائتي ريال . واذا تفرقت اموال البلاد وهي في اعلى درجات الغنى علي اهلها لا ينال الفرد اكثر من اربعين ريالاً فتأمل

وليست موارد الرزق بينهم محصورة في المتاجرة فمنهم خمسة وعشرون الف عامل في معامل البلاد «فباركها» يصنعون المنسوجات على اختلافها . وجميع المعامل الحديدية

(١) يعني حضرة الكاتب مليون دولار ولكن اذا حسبنا ثروتهم على حساب الفرنسويين الذين يسمون «صاحب مليون» من كان يملك مليون فرنك اي «٥٠ الف ليرة فرنسوية» اى اكثر من ٢٠٠ الف ريال قليلاً جاز القول بحسب تقديره السابق ان بينهم اصحاب ملايين

ومركبات القطارات الحديدية. ومنهم مائتا عائلة تحرث الارض وتستدر خيرها في ولايتي داكوتا الشمالية واوكلاهوما وغيرها من الولايات . ومنهم الف عامل في الحقول يتقاضون اجورًا حسنة ومنهم خمسة الآف مستخدم في السكك الحديدية وفي الادارات والمكاتب والمخازن الاميركية في المدن وفي الولايات . وما تبقى مما يزيد المائة الف عدًا يعملون في التجارة ما بين مقيم في مخزن و بين من يحمل بضائعه الى بيوت الناس بين الفلاحين والحضريين في عربات كبيرة تجرها الخيل اوعلى عاتقه

وقد بقيت تجارة اخرى خاسرة لم اذكرها وهي تجارة البورصة فمنهم من زاولها وعاد فشلاً لان المتاجر هناك ابدًا تحت رحمة ارباب الاموال الذين تسميهم اميركا « كلاب البحر المفترسة » فهؤلاء يرفعون الاسعار ويخفضونها حسب اهوائهم وصغار المتاجرين في شارع « وال الاسود » يذهبون فريسة لا تقوى على الدفاع عن نفسها

هذه حالهم من حيث التجارة وقد ذكرت في عرض الحديث ان نجاحهم فيها ظهر باجلى بيان في الخمس السنين الاخيرة اذ بلغوا موطن الثقة من زملائهم . واذا بقيت احوال البلاد كما هي فلا يعجبن القارىء اذا بلغ منهم عدد الى مصاف اهل الثروة الكبرى ممن تقدر اموالهم بالملايين لان ثروتهم في ازدياد كل عام

اما في السياسة فهم افضل في الداخلية منهم في نيويورك . لان الداخلين في الجنسية الاميركية يتألبون جماعات في المدن الصغرى ويضمون اصواتهم بعضها الى بعضها في الانتخابات فحيثما مالوا في المدن الصغرى امالوا كفة الميزان معهم . ولذلك ترى الاحزاب السياسية في المدن الصغرى المذكورة التي عدد الاميركيين فيها لا يستغرق عددهم كثيرًا يسعون في استمالتهم اليهم لنيل اصواتهم . فمتقدمو السوريين في الداخلية مسموعو الكلمة نافذوها لا يضام فقيرهم ولا يظلم

وقد بلغ من شان السوريين عام ١٩٠٤ ان الحزب الريبلكاني « الجمهوري » الذي رشح الرئيس روزفلت لمنصبه الخطير اعتمد واحدًا من السوريين وسيره الى جميع الولايات الشمالية الوسطى لاستمالتهم اليه . ولما تمَّ له الفوز في الانتخابات لم يغفل عن ان شكرهم علانية على صفحات جرائدهم

اما المناصب السياسية المهمة فلم يبلغوها بعد لاسباب منها انصبابهم جميعًا على التجارة. وقد بلغني ان في نيومكسكو سوريًا انتخب الى مديرية احدى الكونتات وهذا لم يسبق له مثيل بعد . وقد كان المرحوم نجيب عربيلي واحدًا من المديرين الثلاثة في ادارة المهاجرة غير

انه لم ينتخب الى هذا المركز بل كان معيناً له تعييناً وهذا اعظم منصب شغله سوري الى هذا اليوم

تاريخ السوريين المؤسسين والنافعين
في دار الهجرة

﴿ الجامعة ﴾ بعد ما ورد في هاتين الرسالتين المشبعتين فوائد للقراء من بسط اجمال احوال السوريين في الولايات المتحدة تجارياً وصناعياً ستشرع الجامعة في التفصيل الذي ذكرته في مقدمة الرسالة الاولى اي انها بعد البيان الاجمالي الذي تقدم ستتكلم بالتفصيل عن كل بيت تجاري وكل سوري نفع في هذه الديار بتجارته او صناعته او زراعته او غير ذلك « نفعاً حقيقياً » ونخصص لكل بيت نصف صفحة او صفحة بحسب اهميته . ونخص من بينهم بالكلام المؤسسين الاوَل الذين قدموا الى هذه الديار في مفتتح الهجرة فكان لهم فضل التأسيس للذين تبعوهم بعدهم . وبذلك تكون الفصول التالية عبارة عن « تاريخ لمهاجرة السوريين » وتاريخ اعمالهم وطرق شرائهم وبيعهم ومقدار نجاح اعمالهم في هذه البلاد تبقى مسطرة على صفحات الجامعة ناطقة بهمتهم وجدّهم

وتوصلاً لذلك قد طبعنا في اول صفحة من صفحات الاعلانات في هذا الجزء عدة اسئلة نطلب الجواب عليها للوقوف على تاريخ المحل التجاري او الصناعي وتاريخ هجرة صاحبه الى هذه البلاد سواء كان ذلك في اميركا الشمالية او الجنوبية . فنرجو ممن يتفضل بالجواب على تلك الاسئلة ان يجيب عليها في ذات الورقة ثم يقطعها ويبعث بها الينا واذا رأى فيها اسئلة لا يريد الجواب عليها فليضرب صفحاً عنها . ولا شك ان هذه هي اول مرة يُكتب بها تاريخ اعمال السوريين في اميركا فنرجو ان يساعدنا حضراتهم على استيفاء هذا الموضوع الذي يسجل فضلهم ويسرّ اخوانهم خارج اميركا الذين لا يعرفون شيئاً كبيراً عن فضلهم واجتهادهم

التفاضل والمساواة بين الناس

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

٢

التفاضل بازاء القانون (١)

مع ان التفاضل في الامور الاجتماعية اساس التفاضل في سائر الاحوال الاخرى بل ان كل نوع من انواعه ناشىء عن النوع الاجتماعي لان القانون مبنيٌّ على العادات الاجتماعية او مستخلص منها — مع ذلك نرى ان التفاضل بازاء القانون اقل انواع التفاضل وفي البلاد المتمدنة يكاد الناس يتساوون امام القانون . وكلما ارتقت البلاد في الحضارة استوى الناس لدى القضاء بالرغم من تفاوتهم في قواهم او مزاياهم . ولعل سرَّ ذلك ان الشرائع الادبية والاجتماعية اختيارية بالنظر الى تنازع الناس البقاء . اي ان الفرد حرٌّ في ان يجري عليها او لا يجري ولكنه لا يرى بدًّا من الجري عليها حفظاً لبقائه . ولما كان الشيء الاختياري في مجراه الطبيعي والطبيعة تقضي بالتفاضل اقتضى ان يتفاضل الناس في الامور الاجتماعية كما مرَّ بيانه . بخلاف ذلك الشرائع المدنية فانها اجبارية اي ان كل فرد مُلزَمٌ بان يجري عليها رضي او لم يرضَ . ومتى كان القانون محتوماً وجب ان يجوز على الجميع بالتساوي والا عصاه الذين يجحف بهم

ومع ذلك لا نرى القانون والقضاء سالمين من التمييز والتفضيل . ففي انكلترا مثلاً يختلف موقف اللورد امام القانون عن موقف موقف العامة اختلافاً جوهرياً . وقد كانوا في العصور الوسطى متميزين عن العامة لدى القانون تمييزاً عظيماً جدًّا . وفي حين من

---

(١) نشرنا هذه المقالات المتسلسلة مع مخالفتها رأي الجامعة ومبدأها في هذا الموضوع وذلك لسببين . الاول انها تبسط باجلى وضوح وجوه القائلين بمبداء التفاضل وتفصل مذهبهم تفصيلاً بديعاً . والثاني انها مكتوبة بيراع قويٍ ولغةٍ سليمة جميلة . والمجلات كالمنابر يُنشر منها كل مبداء ويسمع فيها كل صوت . ولذلك نستحسن ان تنشر المجلة كل ما يستحق النشر وان خالف مبدأها . وقد وردتنا مقالة من احد افاضل المهاجرين ردًّا على هذه المقالات فرأينا ارجاء فتح باب الرد على هذا الموضوع الى ما بعد فراغ الكاتب منه

الاحيان لم يكونوا ليعاقبوا على جريمة القتل . وقد حفظ التاريخ بعضاً من اخبار هذا التفاضل امام القانون لعهد دولة الفراعنة اذ كان الناس طبقات اشهرها الكهنة والجنود والعامة ولكل طبقة معاملة قانونية تمتاز على الطبقة التي هي دونها . وكان مثل ذلك في ايام زهو الدولتين اليونانية والرومانية مع ما اشتهرت به تانك الامتان من بث روح الديمقراطية

والان ترى الغربيين يتعمدون هذا التفاضل في كل بلاد يستعمرونها ففي الترانسفال كان البوير يميزون ابناء جنسهم على السود الوطنيين تمييز الانسان على الحيوان تقريباً . فكانوا يحظرون عليهم ركوب الدراجات « البيسكلت » وركوب الدرجتين العليين في السكة الحديدية والمشي على ارصفة الشوارع . والانكليز يفعلون شيئاً من ذلك في السودان الان . والاميركان يعاملون السود عندهم شيئاً من مثل هذه المعاملة والانكليز يجرون في الهند مثل هذا المجرى وياتون في مصر ما يقاربه . والجندي الأنكليزي في مصر مميز على الجندي المصري تمييزاً قانونياً فان سمو الخديوي اصدر امراً عالياً بتاليف محكمة مخصوصة لمحاكمة كل وطني يعتدي على جندي انكليزي . وفي هذه الاثناء حدثت حادثة في دنشواي اعتدى فيها بعض الاهالي على اربعة ضباط انكليز فأرت هذه المحكمة المخصوصة هول يوم القيامة . هذا واكثر حكومات الشرق تعامل الامراء معاملة قانونية تختلف جداً عن معاملة العامة

ثم ان القانون نفسه ينصر في بعض الاحوال على التمييز بين فئة وفئة . مثال ذلك قانون برانجه الذي أُدخل في المدة الاخيرة الى القانون المصري ومن مقتضاه ان يُسامح المتهم بجنحة من تنفيذ العقاب عليه اذا لم تكن له سابقة حتى اذا كرَّر الجنحة في مدة خمس سنين ينفذ فيه العقابان معاً

ذلك في القانون واما في القضاء فان القضاة يراعون في احكامهم الاشخاص وحالتهم ومنزلتهم في الهيئة الاجتماعية وكثيراً ما يستعملون الرأفة بالنظر الى حالة المجرم لا الى نوع جرمه والقانون نفسه يسوّغ لهم ذلك

بقي ان نرى هل يسوغ التفاضل القانوني في حالٍ من الاحوال اي هل هو عادل وهل ترجح فائدته الاجتماعية على ضرره

رأينا في ما سبق ان التفاضل الاجتماعي اذا انتهج نهجاً قويماً كان عدلاً لامحالة بالنظر لتفاوت الناس في مزاياهم العقلية والادبية ولما كان القانون مستمداً من الشرائع الادبية

والعادات الاجتماعية وجب ان يستمد روح التفاضل ايضاً لانه من الظلم ان يتساوى المتهذب والمتشرد امام القانون والقضاء اذا افضى احتكاكهما الى الشجار والقتال

اشتريت مرة شمامة من بائع شمام طواف على شرط ان يقطعها فان كانت حلوة صح البيع والا فسد . فقطعها فكانت تافهة . فرفضتها فحتم عليَّ ان آخذها وشفع تحتيمه بالكلام المهين لكي يستفزَّني الى الشجار و يجرني الى المخفر فاعتصمت بالحلم وحاولت ان اصرفه بالحسنى فأبى واذ رأى ان بذاءته لم تفضِ الى مبتغاه في مخاصمتي حتم ان آخذ الشمامة او يختصم معي وغمز رفيقه ـ وسلّ الشمام على راسه ـ ان يدفعه لكي يقع الشمام و يتكسر فيدَّعي اني المعتدي . واتفق ان كان الشرطي قريباً منا فاستدعيته في الحال فصرفه من امام منزلي بالرغم منه

كان بائع الشمام يبتغي ان يشتجر معي لكي يضطرني الى دفع ثمن الشمامة لانه يعلم اني استنكف الذهاب الى المخفر وهو لا يستنكفه ولا يخشاه مهما كانت النتيجة . وكثيراً ما يلجأ الحمارة والحوذية ومساحو الاحذية في مصر الى هذه الطريقة لنيل مطامعهم من الناس . ولاقل خلاف بينهم وبينك يهينونك لكي يستفزوك الى ضربهم وحينئذٍ يستدعون البوليس ليجرك معهم الى المخفر . وكثيرون منهم يفتخرون بذلك ولا سيما اذا كان حكم القاضي مذنباً لخصمهم ولكن المهذبين يفضلون احتمال الاهانة على الوقوف معهم امام القضاء

ولا يغرب عن ذهن اللبيب ان هؤلاء الذين يتحككون بالناس و يستفزونهم الى الخصام لكي ينالوا منهم مآربهم هم من اسافل البشر واحط الناس فلا يسوغ ان يساووا الناس المهذبين المتأدبين امام القانون لكي يتسلحوا ضدهم بهذا التساوي على الاسلوب الذي سبق بيانه . وكنت كلما حدثت لي حادثة كحادثة الشمامة بل افظع منها اشعر ان هذه المساواة القانونية خطاء في هذه البلاد التي يتباين الناس فيها كل التباين في ادبياتهم وقلتُ في نفسي ان الانكليز المسيطرين على الحكومة المصرية قد تسرَّعوا في تعميم المساواة في البلاد لانه كان الواجب عليهم ان يعمموا التعليم والتهذيب اولاً لكي تترقى اخلاق العامة وتتدمث طباعهم وتنشأ فيهم بعض الفضائل وثمَّ اذا عمموا المساواة القانونية وغيرها كانوا صائبين ومصلحين حقيقةً . ولعمر الحق لو كان عامة الشعب ارقى منهم الان لما دفع الجهل اهل دنشاوي في تيار غضبهم حتى ضربوا الضباط الانكليز وعوقبوا بالشنق والليمان ولو كنت صاحب اللواء او المؤيد او الظاهر لما لمت الانكليز على قساوة حكم المحكمة المخصوصة لانهم مضطرون ان يقسوا هذه القساوة لحفظ مركزهم بل كنت الوم الحكومة المصرية التي

لم تزل تاركة الفلاحين يخوضون في عباب جهالتهم ومع ذلك تلقي عليهم المسأولية التي تلقيها على فئة راقية

فترى ان تساوي الناس امام القانون مع تباينهم في المعرفة والاداب خلل فاضح لانه ينشط المتسفل الذي يستطيب مناخ السجون ويستلذ بقساط الحبس الى التعدي على المتادب الراقي واهانته وضربه لكي ينال وطرًا منه كما تقدم الاستشهاد عليه

« تأْتي البقية »

شيء عن الجامعة

﴿ الجامعة في اميركا ﴾ تحت هذا العنوان ورد في رصيفتنا جريدة المحيط التي تطبع في نيويورك ما حرفيته

اجتمعنا بحضرة الرصيف الفاضل فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة واذ اردنا معرفة حقيقة ما صادفته هذه المجلة الزاهرة بفوائدها من الاقبال في العالم الجديد وعواطف القراء من نحوها استطلعنا رايه في ذلك فاجابنا بما خلاصته :

« ان الاقبال على الجامعة الذي وجدناه بين اخواننا في اميركا الشمالية والجنوبية منذ صدور اول جزء منها الى الآن خصوصاً في الولايات المتحدة والبرازيل يقضي علينا باعادة الشكر والثناء على افاضل المهاجرين الذين ينشطون العلم والادب في هذه الديار ويأخذون بناصر المشروعات العمومية النافعة . ومما زاد امتناننا اننا راينا افاضلهم يقدرون عمل الجامعة الجدي قدره ولا يجهلون التعب الذي يُبذل في مجلة كالجامعة تأليفاً وطبعاً في بلاد بعيدة عن مركز المطابع العربية . وقد وردت على الجامعة عدة كتب من قرائها في اميركا اظهر كتابها مسرتهم ببقاء الجامعة في مركزها العلمي الادبي الذي كانت عليه خارج اميركا وبعدم تحويلها الى مجموعة قصص وفكاهات لا سيما وان عدد النسخ التي يرسل منها الى خارج اميركا يعادل الآن ما يرسل منها الى اميركا نفسها اي انها مجلة عمومية منتشرة في جميع اقطار الكرة الارضية من اقاصي الهند حتى مصر والشام ومنها الى اقاصي الاوقيانوس . فالمقالة التي تكتب في نيويورك تقرأ و تحفظ في كل قطر . وهذا يوجب عليها ان تكون

مواضيعها وطريقة تأليفها مما يلذ ويفيد العناصر العديدة المختلفة التي تقرأها بين سوريين ومصريين وعرب وجزائريين وتونسيين وهنود وايرانيين الخ · والمهاجرون ولا شك يسرهم ان يكون عندهم مجلة بهذا الانتشار وهذا التأثير في خارج اميركا اولاً لرغبتهم في قراءة المواضيع المبتكرة العالية التي اعتادت الجامعة نشرها وحفظهم الجامعة ككتاب نفيس يجلدونه ويحفظونه في مكاتبهم لهم ولأولادهم كتذكار من المجلة · وثانياً لتكون الجامعة صلة بين الشرق وجميع المهاجرين الذين يتكلمون اللغة العربية في هذه الديار · ومعلوم ان مقياس نجاح الاعمال ورضى القراء عن الصحافة انما هو رسائل مشتركيها الافاضل · ورسائل المشتركين صارت عندنا تعد بالمئات حتى ان موزع البريد كان يضحك كلما القى الرسائل الى الادارة ويقول (كثير كثير · والامر الاكثر دلالة على ارتياح قرائنا الافاضل ان هذه الرسائل ٩٠ في المئة منها ممتلئة (شكات) بقيمة اشتراكات دون ان تطالب الادارة بقيمة الاشتراك · ولا يزال المشتركون والغير المشتركين يقدمون انفسهم لمساعدة الجامعة على الانتشار في جهاتهم ويرسلون قيم الاشتراك دون طلب · وتلك شيمة اهل الفضل والادب · الذين لا تضيع عندهم خدمة ولا تعب · ويسلكون في مكافأة من يجهد نفسه فيها كل سبيل وسبب · وحسبنا للدلالة على المنزلة التي اصبحت الجامعة فيها لدى اهل الفضل والادب في اميركا ان اول يوم سار فيه محصل الادارة الى مشتركي الجامعة في مدينة نيو يورك نفسها عاد وقد حصل من اشتراكاتها نحو ثلاثمائة ريال في يوم وحد · وهذا لا يقع لجرائد مصر اليومية الكبرى نفسها

« فلما رأينا هذا الاقبال العظيم على الجامعة وشهامة المهاجرين في تنشيط المجلة التي انتقلت اليهم لخدمة العلم والادب بين ظهرانيهم جرّأنا هذا التنشيط على ابلاغ الجامعة وادارتها المبلغ الذي نريده لها لان الريال الذي يبذر في هذه البلاد يعود اضعافاً · فاتفقنا نحن وبضعة من اهل العلم والادب في مصر والشام ومنهم كتاب يحملون اسماء كبيرة في عالم العلم والادب على مساعدة الجامعة بمقالاتهم المفيدة التي ستظهر في الجامعة قريباً · والجامعة تنشر المقالات المفيدة لغيرهم باجرة تتفق مع صاحبها على نشرها اذا كانت مما يفيد نشره ولا تضن بالمال في هذا السبيل ارضاء لقرائها

« ويسرنا ان الجامعة اصبحت في طورها الجديد في اميركا قوة للمهاجرين تخدم افاضلهم واذكياءهم كما يخدمونها واذا كانت الى الآن لم تبرز كل قوتها ومبادئها

فالمستقبل واسع امامها · وعن قريب سيسمعون عنها اخباراً تسرهم وتحقق املهم فيها · » انتهى

﴿ الجامعة في الشرق ﴾ ولقد عتب بعض القراء والوكلاء على المجلة في مصر والشام على الخصوص لانها لم ترسل اليهم من الاجزاء قدر عدد المشتركين الذين كانوا يقراونها لما كانت في مصر · فاننا مثلاً للبلدة التي فيها خمسون مشتركاً لم نرسل الا ٢٥ اي النصف وفوضنا الوكيل ان يطلب حاجته من اجزاء الجامعة من فرع ادارتها في الاسكندرية او من فرعها في مصر القاهرة · وليس السبب في هذا الفعل عدم اهتمام الجامعة بقرائها الافاضل خارج اميركا بعد الاقبال الذي وجدته في اميركا فانهم ولا شك يعلمون ان منزلتهم عندها لا تضاهيها منزلة لانهم كانوا المؤسسين الاول للجامعة فضلاً عن ان لآرائهم و رضاهم عندها قيمة خصوصية · ولكن فعلنا ذلك لان الاختبار علمنا ان في بعض الجهات خصوصاً في جهات الشام (ونذكر ذلك باسف) بعضاً من المشتركين في الصحافة لا يهمهم رضى الصحافة عنهم فيشتركون فيها و يتحكمون في دفع اشتراكاتها كاملة او ناقصة كما يريدون في السنة التي يريدونها متجاهلين ما يبذله اصحاب الصحف في سبيلها من التعب والمال · فكان غرضنا مما تقدم ذكره غربلة مشتركي الجامعة في الشام ومصر وعلى الخصوص في الشام لان المشترك الواحد في اميركا هو الان عند المجلة من الجهة المالية خير من مشتركين او ثلاثة في غيرها لعدة اسباب منها غلاء اجرة البوسطة خارج اميركا بالنسبه اليها في داخلها واتباع القراء هنا خطة يحمدون عليها وهي دفع قيمة الاشتراك مقدماً كاملة لجميع الصحف تشبهاً بالقراء في الغرب وعدم ذهاب شيء منها عند احدهم الا النادر جداً الذي يكون في اشتراكه مشكلة كأن ترسل اليه المجلة او الجريدة دون طلبه · وهذه شهادة نؤديها عن طيبة نفس في حق القراء الافاضل هنا · وليس عبثاً يستبدل الوسط الصغير بوسط كبير وتسلط العادات القوية على العادات الضعيفة · و بناء على ذلك قطعنا المجلة باسف عن كل من كانت الادارة تتعب معه في الشرق فقطعنا عن مصر والشام وغيرها عدة مئات من الاجزاء مكتفين من الشرق بالجمهور الغفير الخاص الذي اعتاد قراءة الجامعة بامعان وايفائها حقوقها في اوقاتها والذي هو المؤسس الحقيقي لها بل هو خلاصة الجمهور الشرقي الراقي الذي يحب المطالعة و يراها من حاجات النفس

﴿ مصر والجامعة ﴾ وقد كان بعضهم في الشرق يتدلل على الجامعة فاصبحت هي اليوم تتدلل عليه · فقد وردنا من القاهرة من احد الادباء المحبين للجامعة انه بعد وصول الجزء الاول منها الى مصر عزم مع وكيل الجامعة فيها على ارسال تلغراف الى نيويورك يطلب فيه

٣٠٠ نسخة من كل جزء صدر منها لكثرة طلب الجامعة هناك . وهو يطلب سرعة ارسال هذه الاجزاء حال وصول الكتاب اجابة للطالبين . فارسلناها حسب الطلب فوق عشرات الرزم الكبرى التي سبق ارسالها حين صدورها . ووردنا من وكالة الجامعة في الاسكندرية انه حين اعلنت الجرائد في مصر خبر وصول الجزء الاول من الجامعة اصبحت الكتب الواردة على الوكالة بالاسكندريه بطلب الاشتراك ترد عشرات عشرات وبعض القراء الذين غيروا محل اقامتهم ارسلوا بالتلغراف عنوانهم الجديد الى وكالة الادارة في الاسكندرية لكي ترسل المجلة اليهم بسرعة . فالجامعة يسرّها بنوع خاص ان مصر الكريمة حققت املها فيها لانها كانت على ثقة بان قراءها المصريين الكرام لا ينسونها بل يزدادون اقبالاً عليها بعد بعدها عنهم لا سيما وانها وهي في قلب المدنية الاميركية تستطيع ان تنشر لهم من الفوائد ما لا تصل اليها وهي في مصر . فهي المجلة العربية الوحيدة التي تخدمهم من هذا القبيل خدمة كلفتها عناء الانتقال ووحشة الغربة بازاء رصيفاتها الجليلات التي تخدمهم في مصر من وجه مفيد آخر . هذا فضلاً عن انه لا شيء كالبعاد يزيد اميال الفؤاد . كما تعرف الجامعة الآن ذلك من نفسها . ولكن هنا لا نزيد كلمة في موضوع مصر وميل الفؤاد اليها لئلا يشمت بنا هناك من فارقناهم على كره منا ويتهمنا اصدقاء الجامعة وقراؤها هنا بنكران الجميل لاستمرارنا على الحنين الى مصر مع ما لقيته الجامعة عندهم من الترحاب والاقبال . فنكتفي اذاً بقول ابي تمام

وكانت لوعة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرارُ

﴿ امل الجامعة ﴾ وقد ذكرنا في ما تقدم آنفا ان الجامعة ستحقق امل المهاجرين فيها عن قريب باستعدادها لخدمتهم خدمة يرتاحون اليها وينتظرونها منها وابلاغها مبلغاً يسرُّ قراءها . وهي كما تبذل منتهى الجهد في خدمتهم ترجو ان تستمرّ معاملاتهم معها على السهولة التي لها الآن من القيام بوفاء حقوق المجلة دون مطالبة منها

﴿ اصلاح خطاء ﴾ في الصفحة ١٥٤ في الحاشية في صدر البيت الثاني لام مكسورة عند الطبع وصحته (فهل نصدق منا قول من زعموا)

مختارات من فلسفة نيتشي

الوارد ذكره في المقالة الاولى للدلالة على مذهبه

كل مصيبة تصيبني في مدرسة الدهر ولا تقتلني انما هي قوة جديدة لي

اول مبادىء حب القريب هذا المبدأ . ساعد نفسك يساعدك جميع الناس .

قالت امرأة لامرأة اخرى تطلبين الحقيقة كانك لا تعرفينها . الا تعلمين انها خرق لحرمة حيائنا

طلبتُ رجالاً عظاماً فلم اجد الا قروداً يقلدون تصوراتهم

لقد كانوا سلماً لي فصعدت عليهم ولذلك اضطررت الى دوسهم لاتمام سيري اما هم فحسبوا انني استخدمهم للصعود للاستراحة عندهم

تعريفي السعاده : القول لا أو نعم (١) خط مستقيم اسير فيه . غاية اسعى اليها

قال سقراط قبل شربه السم المريض من كان حياً لان الحياة مرض فانا مديون للسم بانقاذي منها . نعم لا بدّ ان يكون في هذا القول شيء من الحقيقة . والحقيقة هي ان المريض هو سقراط نفسه . وما المبادىء التي دعا الناس اليها وسموها حكمة الا مبادىء مريض ضعيف لاقبل له على اقتحام الحياة

الرغبة في اقتحام شهوات الانسان وغريزته لاخضاعها او اماتتها انما هي رغبة في افناء الحياة نفسها

على الانسان ان يكون شديد الحب لان يكون معارضاً ومعارضاً . بالفتح والكسر فهذا هو الشرط الاول لنجاحه . وليست تدوم للانسان قوة وشباب اذا بدا منه ميل للراحة والسلام . وما «السلام المسيحي» الاّ ضعف ووهن لا محل له في هذا العصر

ان الآداب كما اتفق عليها الناس في هذا العصر انما هي صورة لحياة منحطة ضعيفة تعبة محكوم عليها بالزوال . هي «غريزة الانحطاط»

---

(١) يعني حكمه في الامور حكماً جازماً وقد كان هذا مواضع الخلاف بينه وبين جميع الفلاسفة الذين يترددون في الحكم في المبادىء او يقولون . لا أدري . او غير ذلك . وقد ادماهم نقداً وتهكماً في كتبه

ان رغبة المريض في البقاء مع حكم الاطباء بانتهاء اجله امر يوجب احتقاره . وعلى الاطباء ان يدفعوا من امامهم بلا رحمة ولا شفقة هذه الحياة المنحطة « زه زه زه »

انني اعتبر مبدأ « الاشتراكيين » مبدءاً منحطاً ولكني اعتبر مبدأ المستر هربرت سبنسر منحطاً ايضاً لانه يرضى عن انتصار « مبدأ الغيرية » في العالم

ما المبدأ الصحيح ؟ هو كل ما يثير في الانسان حب القوة و يدفع ارادته الى حب السيادة

ما المبدأ الفاسد ؟ هو كل ما يكون ضعفاً ورفقاً

ما هي السعادة ؟ هي شعور الانسان بازدياد سلطته وقوته . واحساسه بتغلبه على العثرات التي في سبيله

ليست السعادة رضى النفس والقناعة ولكنها السلطة والقوة. ليست السلام بل الحرب. ليست الفضيلة « كما يفهمها اهل النهضة » Renaissance بل هي القوة

عندنا اول مبادئ محبة الناس هذا « فليفن الضعفاء والمخذولون في هذه الحياة ولا راحتهم ساعدوهم على هذا الفناء »

ما شيء ضرره اشد من ضرر اية رذيلة كانت ؟ هو الرفق المسيحي الذي يقضي بالشفقة على هؤلاء الضعفاء والمخذولين « بخ بخ بخ »

تعريف المذهب البروتستنتي : هو المسيحية والعقل مصابان بداء الشلل من جهة واحدة الالمان اعداء الالداء (١) وانني احتقر فيهم كل قذارة في الفكر وكل جبن في الحكم سلباً او ايجاباً . وانهم منذ الف سنة يشوهون و يعرقلون كل ما وصلت اليه ايديهم. فعليهم تلقى تبعة المبادئ التي اوروبا مريضة بها الآن (٢)

---

(١) لا تنسَ ان نييتش فيلسوف الماني

(٢) يعني مبادئ الفيلسوف قنت وشوبنهور وهجل وجوت ولوثر وكلهم من اعاظم الالمان

عقاب الحب وصفح الحنو

بقلم حضرة الشاعر الناثر نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

في انه يجب على الام ان لا تترك حنوّها يحول دون ما يجب عليها من التهذيب لولدها (١)

غرّ زهوُ الصبا صبيًا لعوبا فنسي أمرَ امهِ المطلوبا
فأرته وجهًا عبوسًا ولكن كتمت في الحشى حنوًّا عجيبا
رامَ تقبيلها كما عوّدته حين ان يدعوهُ الكرى فيجيبا
اعرضت عنه لا لقلىً او جفاء بل عقابًا له عسى ان يتوبا
وصدودُ المحب اقسى عقابٍ اذ يشا الحبُّ ان يربي الحبيبا
فانثنى عنها كاسفَ البال لما عوّضته من بشرها تقطيبا
صانت الكبرياء في مقلتيهِ ادمعَ الحزن حين راح كئيبا
شيعته الحاظها وكانَ الـ وَجدَ يبدو في ناظريها لهيبا
واقتفاهُ فؤادُها مستطيرًا حوله وهوَ موشكٌ ان يذوبا
عوقب الابن لكن الامُّ قاست ألمًا في جفاهُ يفري القلوبا
ان ينم ظامئًا لرشف لماها فهي اظما منهُ وادجى كروبا
قصدته مدفوعةً بحنانٍ نحوَهُ هبَّ كالنسيم هبوبا
وجثت عند مهدهِ وهو غافٍ ثمَّ ألوت واستنشقت منهُ طيبا
لم يكن دمعُ عينه جفَّ لما قبلت خدَّه النديَّ الرطيبا
قبلتهُ وقبلتهُ مرارًا وهي تسقي خديه دمعًا صبيبا
ثمَّ قالت رباه هل انت تسقينا دواء الرضا لتشفي الذنوبا
يومَ نلقى على سرير المنايا وتوافي شمس الحياة المغيبا
قبلما تنشفُ الدموعَ وتكسو لفحةُ الموت كل وجهٍ شحوبا
اي نعم انتَ راحمٌ وغفورٌ فأعنا رباه حتى نتوبا
ونغض الاجفان عن كل عيبٍ في سوانا ونحنُ اوفى عيوبا

(١) من هذه القصيدة الرقيقة يرى القراء ان حضرة ناظمها شاعر مطبوع كما انه كاتب مجيد

تنبيــه
من ادارة الجامعة

﴿ مطبعة الجامعة وصدور هذا الجزء ﴾ اصدرنا من الجامعة الجزء الاول والثاني والثالث وبعد صدور الجزء الثالث اخذنا مهلة عشرة ايام لترتيب ادارة الجامعة وتقطيع حروفها الجديدة وتركيب الادوات والآلات الجديدة التي استجلبناها لها. ورغبة في اجتناب العطلة وعدم التثقيل على مطابع نيويورك العربية التي كل واحدة منها مشغولة بشغلها ابتعنا من نيويورك نفسها حروفاً عربية بمضاعف ثمنها الاصلي لكي لا ننتظر ورود الحروف من مصر وسوريا . واشترينا فوق الآلات الصغيرة آلة للطباعة كبرى تدار بالكهرباء وقوتها ثلاثة احصنة وزنتها ٦ آلاف بون . وبعد نقلها الى الادارة من نوافذ المحل بآلات رافعة لتعذر نقلها من السلم حضر مفتش البلدية وقرر عدم تركيبها لكبرها وثقلها على مكان الادارة لان أكثر المطابع هنا في الطبقات الثانية والثالثة لا في الطبقات الارضية كما في مصر . فاضطررنا الى تأخير تركيبها والانتقال من محل الادارة الى محل جديد استأجرناه وهو اوسع منه واقوى لحمل الآلة . وهذا سبب تأخير هذا الجزء . اما الآن وقد استوفت مطبعة الجامعة معداتها ولوازمها وفرغت من ترتيبها وتنظيم حروفها العربية والافرنجية واستحضار مرتبي حروف لها يتولون ترتيبها وطبعها باتقان تام كما يرون في هذا الجزء الذي طبع بها فقد اصبحت مطبعة الجامعة مستعدة لطبع كل ما يطلب منها من اوراق تجارية وكتب وجرائد وغيرها كما يرون في الاعلان في ملزمة الاعلانات في الصفحة الثانية

العالم الجديد
او
مريم قبل التوبة

هي رواية غرامية اجتماعية تاريخية فلسفية تأليف صاحب الجامعة على نسق « اورشليم الجديدة » له ايضاً . وقد وقعت حوادثها في فلسطين قبل ظهور السيد المسيح بعشر سنوات وتمتد حوادثها الى ما بعد ظهوره . وستكون هذه الرواية افضل ما كتبه صاحب الجامعة الى الآن . ونبدأ بنشرها في الجزء التالي

تذكارات مصر والشام

محمد عبده ورايه في المسالة الاجتماعية
وراي اللورد كرومر فيها

وعدنا في الجزء السابق بعد الفروغ من الكلام على ما كان بين العلامة الشيخ محمد عبده والجامعة من الصلات ان نلخص الفتوى الاجتماعية التي افتى بها الشيخ للجامعة . وتفصيل الخبر ان النزاع القائم الان في العالم المتمدن في اوروبا واميركا انما اصله سبب واحد وهو: ان التجارة حرة وكذلك الصناعة والعمل . فالصانع مطلق الحرية في ان يعمل او ان يعتصب كما ان صاحب الصناعة او التجارة مطلق الحرية في ان يقبله او لا يقبله في صناعته او تجارته . واذا قام نزاع بين العملة واصحاب الاعمال لم يكن للحكومة من وظيفة غير (حماية الاشخاص والنظام) ويدخل تحت ذلك ثلاثة امور (١) حفظ الأمن والنظام في الشوارع اذا وقع من العملة اعتداء (٢) حماية المعامل اذا اعتدى عليها العملة المعتصبون (٣) حماية العملة الذين يريدون العمل حين يكون رفاقهم معتصبين. وفيما خلا هذا لا تتداخل الحكومة بين اصحاب الاعمال والعمال في شيء اذ ليس ذلك من وظيفتها كما يقولون . والذين يقولون ذلك هم اصحاب الاعمال . اما العمال فيطلبون منها المداخلة ولا عجب ففيها مصلحة الضعيف . وعلى المداخلة وعدم المداخلة تدور الحرب الاجتماعية في كل مكان

ولما وقع اعتصاب عملة السكائر في مصر وكاد الاعتصاب يخل بالامن العام اجاب اللورد كرومر وكيل انكلترا السياسي في مصر على كتاب سئل فيه رايه ان الحكومة لا وظيفة لها سوى حماية حرية الصناعة وحرية العمل وحفظ الامن الا اذا اتفق الفريقان المختلفان على تحكيمها . قلنا ولكن اصحاب الاعمال لا يحبون هذا التحكيم لانهم يعتبرونه مداخلة في شؤونهم ومصالحهم الخصوصية

فبينما كنا نطالع في ذات يوم مقالة لاحد اقتصاديي الفرنسويين في العملة والعمال في الجزائر راينا ان هذا الاقتصادي يقول ان الشريعة الاسلامية حلت هذه المشكلة حلاً

جميلاً . فانها توجب على الحكومة المداخلة بين اصحاب الاعمال والعمال والتحكيم بينهما . فلم يدهشنا هذا القول لعلمنا ان المدنيات القديمة الدينية اسلامية ومسيحية لم تكن فيها الحرية العمومية مصونة من كل الوجوه وكانت الهيئة الحاكمة فيها تجوّز لنفسها التداخل في ما لا يعنيها احياناً . ولكن قلنا انه اذا كان ذاك القول صحيحاً وكانت اوروبا تطلب اليوم « ايجاب التحكيم » (١) بين الفريقين حلاً للمسالة الاجتماعية فانه يحق للشريعة الاسلامية ان تفتخر بانها تقدمت اوروبا بهذا الحل المعقول . وبعد ان بحثنا في كل المصادر التي لدينا ولم نهتدِ الى اثر لهذا المبدا بعثنا نستفتي الاستاذ المفتي فيه . فتفضل فضيلته على الجامعة بجواب مسهب يستغرق صفحتين . وقد قال في مطلعه (ان التحكيم كما يُفهم من لفظه يلزم ان يكون باتفاق الخصمين اللذين يريدان ان يُقضى في النزاع بينهما) وبذلك وضع اساس التحكيم الاختياري لا الاجباري على ما تقدم ذكره . ولكن بعد عدة اسطر يقول هذا القول الخطير « انما يوجد في اصول الاحكام الاسلامية ان القيام بالصناعات من فروض الكفاية اي يجب على الامة ان يكون منها من يقوم بالصناعات الضرورية لقوام المعيشة او للدفاع عن حوزتها فاذا تعطلت الصناعات وجب على القائم بامر الامة ان يتخذ السبيل الى اقامتها بما يرفع الضرورة والحرج عن الناس وكذلك اذا تحكم باعة الاقوات ورفعوا اثمانها الى حد فاحش وجب على الحاكم في كثير من المذاهب الاسلامية ان يضع حدّاً للاثمان التي تباع بها وهكذا يدخل الحاكم في شؤون الخاصة واعمالهم اذا خشي الضرر العام في شيء من تصرفهم

« فاذا اعتصب العمال في بلد واضربوا عن الاشتغال في عمل تكون ثمرته من ضروريات المعيشة فيه وكان ترك العمل يفضي الى شمول الضرر كان للحاكم ان يدخل في الامر وينظر بما خول له من رعاية المصالح العامة فاذا وجد الحق في جانب العمال وان ما يكلفون به من قبل ارباب الاموال مما لا يستطاع عادة الزم ارباب الاموال بالرفق سواء كان بالزيادة في الاجر او النقص في مدة العمل او بهما جميعاً »

---

(١) حين قدوم المستر بربن المرشح الديموقرطي لرئاسة الجمهورية الاميركية من سياحته في اوروبا وآسيا في هذا الشهر كان في جملة ما دعا اليه في خطبته يوم استقباله في نيويورك « بيجاب التحكيم بين العمال واصحاب الاعمال »

فانت ترى اهمية هذا القول وخطارته خصوصاً ما جاء فيه عن حكم الحاكم بالزيادة في الاجر والنقص في مدة العمل. وهذا القول مناقض كل المناقضة لمبداء اللورد كرومر الذي تقدم بسطه وقريب من المبداء الذي اشار اليه الاقتصادي الفرنسوي . وعلى ذلك كان في مصر سلطتان متجاورتان متناقضتان السلطة المدنية التي تنادي بفم اللورد كرومر بمبداء الـ individualistes الذي بسطناه في الجزء الثاني (١) والسلطة الدينية التي كانت تنادي بمبداء التعاون . والله اعلم بمصير الانسانية في الارض بين هذين المبدأين

على ان الاستاذ المفتي يوجب في آخر فتواه التحكيم بين الرجل وامرأته اتباعاً لما جاء في القرآن الكريم (واذا خفتم شقاقاً بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما) قال (والذي يظهر من لفظ الآية ايجاب التحكيم على اولي الأمر) ثم قال (وعلى كل حال فايجاب التحكيم في امر الزوجين معقول) لانه لم يقل بايجابه مطلقاً بين العملة ثم قال (فان كان ذلك الكاتب الفرنسوي يعني هذا الاصل و يشير اليه و يريد ان يقيس به ما يقع بين العملة فذلك رأيه وحده والسلام

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

وفي ذيل الفتوى هذا السطر الرقيق (اجب ان تدقق النظر في الخط كيلا يقع خطأ فاذا اشتبه شيء رجوت مخابرتي فيه)

فاعجبتنا هذه الفتوى لان فيها شيئاً مما كنا نطلبه خصوصاً الاسطر المطبوعة بالحرف الكبير ولكن اردنا ان نستخرج من الاستاذ فتوى اعظم. وكان غرضنا ارسالها الى نفس الاقتصادي الفرنسوي الذي تقدم ذكره لانه ظهر لنا من مقالته نفسها انه هو نفسه على غير هدىً في هذه المسألة. فقلنا للاستاذ في كتاب ثانٍ ان قوله الذي جعلناه هنا بحرف كبير غاية في الاهمية والخطارة . و بناء عليه فانني اسأله سؤالاً يحل هذا المشكل ويزيد الايضاح . وكان بحارة البواخر الفرنسوية في مرسيليا قد اعتصبوا في ذلك الحين وانقطع ورود البواخر على مصر واختلّ البريد الفرنسوي بين فرنسا ومستعمراتها. وكان انصار العملة يطلبون من الحكومة المداخلة لدى الشركات لاجبارها على قبول التحكيم ارضاء للبحارة . فلم تتداخل الحكومة الفرنسوية في ذلك ولكن وزير التجارة وكان لذلك العهد المسيو ترويو كتب الى الشركات كتاباً اخبرها فيه انه قطع عنها الاعانة التي تدفعها الحكومة اليها لنقل

(١) راجع تذكارات مصر والشام الجزء الثاني

بريدها وذلك لاخلالها بشروط هذا النقل. فكان ذلك من الحكومة مداخلة ضمنية. فسألنا الاستاذ: هل كنتم فضيلتكم تجبرون هذه الشركات على الرضى بالتحكيم. لان انقطاع البريد عطل الاشغال واضرّ مصالح الامة. فلما علم الاستاذ رحمه الله اننا علقنا اهمية عظمى على جوابه الاول واننا استكبرناه اضعفه في جوابه الثاني بعض الشيء. اي انه بدل ان يزداد تقدماً فيه ويخطو خطوة اخرى الى الامام تأخر وخطا خطوتين الى الوراء. ومن سوء الحظ قد فقد من عندنا هذا الكتاب ونحن نأسف لذلك لاننا نحفظ كتب الاستاذ عندنا كاثر من انفس الآثار

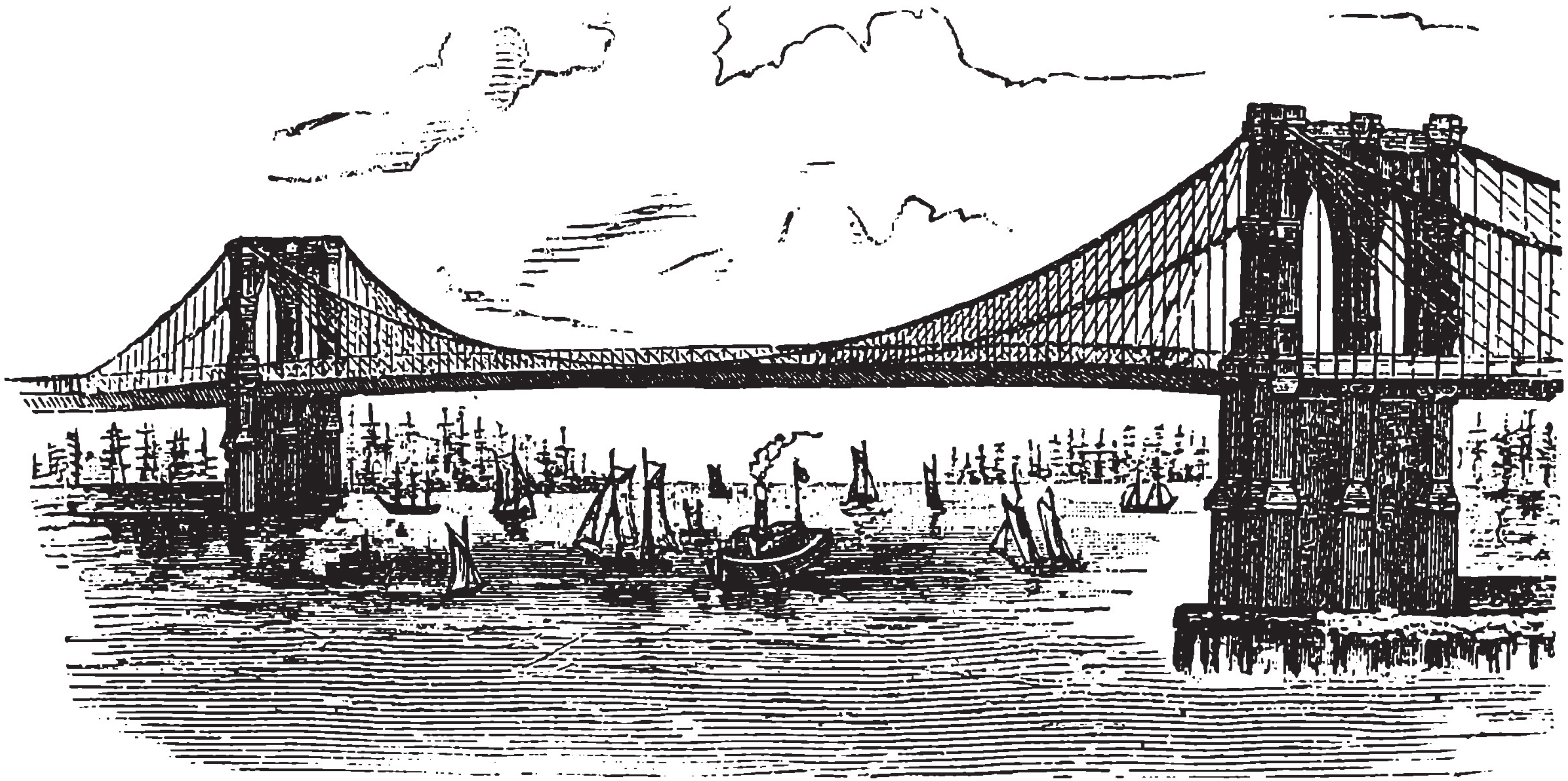
ولكن الاستاذ رحمه الله معذور لهذا الحذر. وهو عنده دليل على العقل واصالة الراي لان خصومه كثيرون وكانوا ينتظرون سقطاته. وقد افتى بنسأ لتبن (مسألة الموقوذة كما سموها ومسالة صناديق التوفير) وكان الحق في جانبه في المسالتين. فقامت عليه القيامة وكانت بعض الجرائد الاسلامية تصدر كل يوم وصفحتها الاولى مشحونة بالحملة على الاستاذ. فكان لذلك ضجيج في مصر لم يسمع بمثله حين كتابة وفاق مصر والسودان. وقد كان حذره هذا في محله فانه ما انتشرت فتواه هذه في مصر حتى تصدّى لها احد شيوخ العلم الذين يترددون على الازهر ويحررون الجرائد. فكتب مقالة اولى في احدى الجرائد السورية اليومية عن لسان الجريدة نفسها خص فيها فتوى الاستاذ للجامعة ووعد ان يردّ عليها لاظهار (حدود الله في هذه المسالة). فلما اطلع صديقنا صاحب الجريدة على الثورة الجديدة التي يراد اثارتها على الاستاذ في جريدته هرع الى كاتب المقالة وشكره وسأله سدّ هذا الباب

مشاهدات في اميركا

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

الآن وقد صفا الفكر من شواغل تاسيس الجامعة وتاسيس مطبعتها في اميركا واستيفاء اعمالها المادية فقد صار في الامكان التفرغ لاعمالها الادبية. وقد ذكرنا اننا سنشرع في الجزء الآتي برواية (العالم الجديد او مريم قبل التوبة) وكذلك سنشرع فيه ايضاً بدرس المدنية الاميركية درساً مبنياً على المشاهدة العيانية. وتحليل روح هذه المدنية ومبانيها وذكر عجائبها وغرائبها. واذا كانت الجامعة هي اول من يكتب بالعربية في المدنية الاميركية كتابة جدية مبنية على الاختبار والمشاهدة فهي لا تفخر بذلك لانها اشترته بثمن غالٍ وهو فراق قومها وبلادها وتحمل عناء الانتقال من قارة الى قارة كشجرة تقتلع من روضة لتغرس في روضة



جسر بروكلن

بين نيويورك وبروكلن

وهو ابدع واعجب جسر في الدنيا